الدفاع الوطني اللبناني

LEBANESE NATIONAL DEFENSE

الاستراتيجية الأميركية وعقيدة ترامب في الشرق الأوسط

الشباب والنزاعات السياسية

العملات الافتراضية المشفّرة في الحقل الجنائي السيبراني

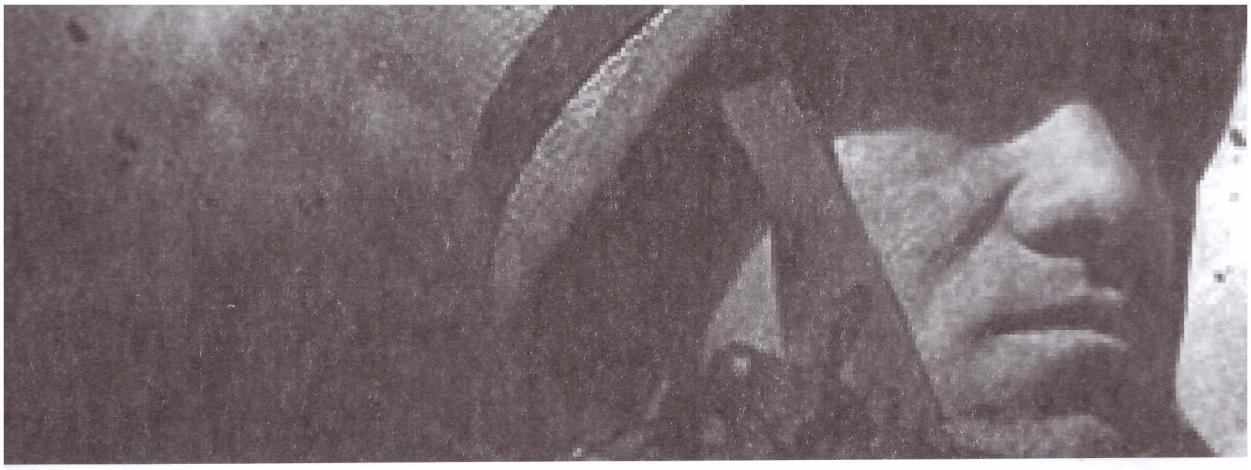

المحتويات

العدد مئة وثمانية – نيسان ٢٠١٩

الاستراتيجية الأميركية وعقيدة ترامب في الشرق الأوسط

العميد الركن المتقاعد نزار عبد القادر ٥

الشباب والنزاعات السياسية

د. عدنان الأمين ٤١

العملات الافتراضية المشفّرة في الحقل الجنائي السيبراني

ماريلين أورديكيان ٧٣

ملخصات ..... ١٠٧ – ١١١

الشباب والنزاعات السياسية

د.عدنان الأمين*

المقدّمة

شهدت البلدان العربية تظاهرات عارمة في العام ٢٠١١ من أجل تغيير النظام، وهو ما سُمّي بـ"الربيع العربي". وما لبثت الأمور أن انقلبت إلى حروب أهلية في بعضها، وشكّل الشباب الحشد الأساسي فيها وبخاصةٍ حمَلة السلاح. ونحن في لبنان خبِرنا مثل هذا الانتقال من الحراك المدني للشباب ما بين الستينيات ومنتصف السبعينيات، إلى الحراك العسكري عند اندلاع الحرب الأهلية، من المواجهة بين الشباب والدولة إلى المواجهة بين الشباب من هنا والشباب من هناك على جهتَي خطوط التماس.

*أستاذ في العلوم التربوية في الجامعة اللبنانية

منذ سنوات قليلة، ومع انقلاب الوضع في البلدان العربية المجاورة، لم يعد الشباب اللبناني بمنأى عن النزاعات المسلحة، وعن شعاراتها ومحفّزات الانخراط فيها. وقد تبدّى

ذلك إمّا من خلال انتقال أفواج من الشباب إلى سوريا للمشاركة في القتال، أو من خلال أحداث شهدتها طرابلس أو مناطق أخرى لم تكن سوى صدًى لما يحصل في سوريا.

إنّ النزاع في سوريا دفع أكثر من مليون سوري للنزوح إلى لبنان، والعيش في ظروف اقتصادية صعبة ومواقف سياسية مكبوتة. علمًا أنّ الشباب من عمر ١٥-٢٥ يشكّلون ١٦٪ من النازحين السوريين[١]. لم تشهد تجمعات النازحين السوريين بعد مرور عدة سنوات على النزوح، نزاعات مسلحة بين بعضهم البعض. لكن هذا لا يعني أنّ احتمالات اندلاع مثل هذه النزاعات وامتدادها إلى المحيط غير قائمة. يتعلّق الأمر بتوافر شروط هذه النزاعات، واستعداد الشباب للانخراط فيها.

قبل ذلك، ومنذ احتلال العدو الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية في العام ١٩٤٨ استقبل لبنان اللاجئين الفلسطينيين. وصارت المنظمات الفلسطينية أحد محاور الحرب الأهلية لاحقًا. يضم لبنان اليوم ١٧٤،٤٢٢ فلسطيني، في المخيمات وخارجها. ويشكّل الشباب ٢٠,٦٪ منهم[٢]. وهي نسبة قريبة جدًا من نسبة الشباب اللبناني (١٩,٨٪)[٣]. وما زالت بعض هذه المخيمات مكانًا رحبًا للنزاعات المسلّحة المتنقلة في الزمان والمكان، أبطالها أيضًا شباب تدفعهم ظروف الفقر وصراعات النفوذ بين الفصائل السياسية للانخراط فيها. آخرها كان في مخيم المية ومية في العام ٢٠١٨.

١- UNFPA, UNHCR, UNESCO, UNICEF, SCI (2014). Situation Analysis of Youth in Lebanon Affected by the Syrian Crisis.

٢- لجنة الحوار اللبناني الفلسطيني (٢٠١٧). التعداد العام للسكان والمساكن في المخيمات والتجمعات الفلسطينية في لبنان، النتائج الرئيسية، بيروت، لجنة الحوار اللبناني الفلسطيني-إدارة الإحصاء المركزي (لبنان)- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني.

٣- إدارة الإحصاء المركزي ومنظمة الأمم المتحدة للطفولة (٢٠٠٩)، المسح العنقودي متعدد المؤشرات الدورة الثالثة (الملحق الإحصائي).

ثمة قضيّتان هنا:

١) نزاعات سياسية ذات أبعاد عسكرية على أشدّها في المنطقة العربية عمومًا وفي الجوار خصوصًا، تتشابك مع نزاعات بين الجماعات السياسية اللبنانية.

٢) الشباب هم المخزون الذي تنهل منه النزاعات.

لست هنا بصدد البحث في القضية الأولى، بل في موضوع الشباب، بصفته مخزونًا للتغيير، عن طرق الانخراط في النزاعات السياسية في وجهها العسكري أو عن طريق الإبداع، أو غيرهما من الطرق، ومخزونًا للمستقبل المتطوّر أو المتخلّف. هو بحث عن الشباب وشروط ذهابه في هذا الاتجاه أو ذاك.

أولًا: ملامح الشباب

"الشباب" مفهوم يعبّر عن واقعة اجتماعية حديثة تاريخيًا، هو نتاج الحداثة، رغم أنّ الفئة العمرية التي يمكن أن نعتمدها للشباب اليوم (١٥–٢٤ أو غيرها) كانت دائمًا موجودة، منذ نشوء البشرية.

الشباب بدرجة الصفر

تفيد الدراسات الأتنولوجية أنّ المجتمعات البدائية كانت تجعل من البلوغ حدًا فاصلًا بين الطفولة والرشد عن طريق طقوس التأهيل initiation rites، التي تعني، من جملة ما تعني، أنّ المجتمع يتكوّن من فئتين فقط لا ثالثة لهما: الأطفال والراشدين[٤].

إذا تصفّحنا كتاب دوركهايم حول "التطوّر البيداغوجي في فرنسا"[٥]، الذي يبتدئ فيه باليونان صعودًا حتى عصره (توفي في العام ١٩١٧)

٤- إيرني، بيار (١٩٩٢): أنتولوجيا التربية، ترجمة عدنان الأمين، بيروت، معهد الإنماء العربي.

٥- Durkheim, E. (1969). **L'évolution pédagogique en France**, Paris, P. U. F.

فلن نجد فيه أثرًا لمصطلح الشباب، لا مباشرة ولا مداورة. وكما لدى دوركهايم، كذلك لدى ابن خلدون (توفي في العام ١٤٠٦)، الذي يتابع فيه تطوّر العمران واختلافه بحسب البلدان، فأنت لن تجد في كل مقدمته كلمة شباب.

إنّ مفهوم الطفل والطفولة أيضًا، قد تبلور في الغرب حديثًا منذ القرن السادس عشر، كما كشف ذلك فيليب أرييس في كتابه المعروف "قرون من الطفولة"[٦]. مفهوم الشباب بدأ بالظهور بعد مفهوم الطفولة مع الابتعاد التدريجي بين عمر البلوغ الجسدي وعمر الرشد adulthood الذي يتزوّج فيه المرء ويمارس الأبوّة أو الأمومة ويعمل. ارتبط هذا الابتعاد بانتشار التعليم، وبقاء المزيد من الطلاب في المدرسة وصولًا إلى الجامعة، مع قضاء أوقات أطول فأطول بعيدًا عن الأبوين، بخلاف ما كان عليه الحال سابقًا[٧]. وقد حدث ذلك أيضًا في وقت ارتفعت فيه متطلّبات سوق العمل من المهن القائمة على مزيد من التخصص.

شباب الشغب

إنّ تعبير "المراهقة" هو الذي استُعمل أولًا. فهناك من يدّعي أنّ اختراع مصطلح "المراهقة" تمّ في الوقت نفسه مع اختراع الآلة البخارية، تلك مع روسو (١٧٦٢) وهذه مع واط (١٧٦٥)[٨]، لكنّ الإجماع حاصل على أنّ المراهقة كمفهوم هي بنت القرن التاسع عشر، بل بنت نهاية ذلك القرن مع ستانلي هول (توفي في العام ١٩٢٤) الذي وصف المراهقة بأنّها مرحلة عاصفة وقلق Storm and Stress[٩]. وقد حدث ذلك في فترة ظهرت

٦- Aries, P. (1962) Centuries of Childhood: A Social History of Family Life. (Translated from the French by Robert Baldick), New York, Alfred Knopf.

٧- Coleman, J. (1961).**The adolescent society**. Glencoe, IL: Free Press.

٨- Musgrove, F. (1964).**Youth and the Social Order**, London: Routledge and Kegan Paul. P3.

٩- Newcombe, N., (1996). **Child Development, Change Over Time**, New York, Harper Collins College Publishers. P 416.

فيها أشكال من العنف في أوروبا مرتبطة بظروف العالم الصناعي، أخذت أحيانًا شكل عصابات وجرائم، وأُلصقت بأبناء الطبقة العاملة، وهذا ما دفع جيفري بيرسون إلى اعتبار أنّ أول إطلالة للشباب أخذت شكل الشغب troublesome youth، youth–as–trouble[١٠].

بإمكاننا التعرّف إلى شباب الشغب في الكثير من بلدان العالم، اليوم وبالأمس. لكن تُعدّ أحداث شهر أيار من العام ١٩٦٨ في فرنسا أقوى مثال عليه. ابتدأت بإضراباتٍ طالبية عارمة ما لبث أن انضمّ إليها العمال والاشتراكيون والشيوعيون، في أكبر إضراب شهدته فرنسا في تاريخها الحديث. وقد أدّت تلك الأحداث إلى حلّ الجمعية العمومية، وإلى إصلاحات جوهرية في التعليم العالي وغيرها من القطاعات في فرنسا. وقد أطلقت الاحتجاجات حركة فنية، شملت الأغاني والغرافيتي والملصقات والشعارات.

إذا كان تعبير "الشغب" ما زال مستعملًا هنا وهناك، فإنّ تعابير مثل "النضال" (اليساري) و"الاحتجاجات والمظاهرات"(الذي تستعمله وسائل الإعلام)، أو تعبير "الحراك المدني" (الذي بدأ يروَّج عالميًا)، هي تعابير تحمل الدلالة نفسها، دلالة الضغط الذي يمارسه الشباب على الدولة والمجتمع ومحاولة التغيير عن طريق الظهور الجماهيري السلمي في الشارع.

شباب اللهو

بعد الحرب العالمية الثانية، شهدت أوروبا وأميركا ما يُسمّى بـ"طفرة المواليد" baby boom واستُعمل آنذاك تعبير "العشريون" Teenagers.

١٠- Pearson, G. (1993): Hooligan: **A History of Respectable Fears**, London, Macmillan.

وما لبث أن استُعمل لاحقًا تعبير "الجيل إكس X"[١١]، وهو الذي ساد خلال عقود لوصف هذه النزعة من نزعات الشباب. استُعمل التعبير من قبل علماء سكان وأنتروبولوجيا وروائيين ومصمّمي المعارض وألبومات الصور،... وقد تفاوتت الحدود الزمنية لظهور هذا الجيل، بدءًا من العام ١٩٦١ حتى العام ١٩٨٠[١٢]، وهي الفترة نفسها التي شهدت معدلات طلاق عالية وصلت إلى ذروتها في العام ١٩٨٠في البلدان المعنيّة. كان الحرف X يعني المتغيّر المجهول (كما في معادلات الرياضيات). وتمّ التعبير عن تمرّد شباب هذا الجيل على السلطة التقليدية بواسطة الفن، وبخاصةٍ الرقص والموسيقى والغناء (البانك روك، الروك أند رول، موسيقى الجرونج، الهيب هوب،...). وسُمّيت هذه النزعة بشباب المرح (Youth–as–Fun)[١٣]. كما تجسّد تمرّد الشباب في ما سُمي بالثورة الجنسية (حرية الحب، الحق بالإجهاض، المثلية الجنسية، الحركة الهيبية)، واقترن بحركة تحرير المرأة وحركة المساواة بين الأعراق.

شباب المسؤولية

بعد الجيل إكس (X) استُعمل تعبير الجيل واي(Y) الذي عنى شباب الألفية الجديدة، لكن سرعان ما شاع تعبير الجيل زد (Z)، الذي ظهر من استقصاء أجرته جريدة يو أس إي تودي (USA Today) في العام ٢٠١٢.

أمران أسهما في تميّز الشباب الذين وُلدوا بعد منتصف التسعينيات في الولايات المتحدة، مقارنة بالجيلين السابقين:

الأول هو تكنولوجيا الاتصالات بما فيها وسائل التواصل الاجتماعي. فقد استُعملت تعابير أخرى لتسمية هذا الجيل، معظمها يُحال إلى هذه

١١- Epstein, Jonathon S. (Editor) (1998): **Youth Culture, Identity in a Postmodern World**, Massachusetts, Black Well Publishers.

١٢- https://en.wikipedia.org/wiki/Generation_X

١٣- Hebdige, D. (1988): Hiding in the Light: On Images and Things, London, **Routledge**, p 29-32.

التكنولوجيا (IGeneration، Gen Tech، Net Gen، Digital Natives، Plurals، Data Generation، Delta etc.)، تمامًا، مثلما أصبح الاسم الشائع للهاتف آي فون (iPhone)، علمًا أنّ تعبير دلتا Delta يشير إلى التغيّر واللايَقين في العلوم والرياضيات.

أما الثاني فهو اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١. فمع أنّ هذا الحدث غير موجود في ذاكرة أبناء هذا الجيل المباشرة، لأنّ معظمهم بالكاد كان قد وُلد في هذا التاريخ، إلّا أنّه ترك فيهم بصورةٍ غير مباشرة شعورًا بعدم الأمان. وكذلك الأزمة الاقتصادية التي عزّزت هذا الشعور في أميركا (٢٠٠٨)، ما أدّى إلى الانخراط في نوع من المسؤولية الاجتماعية، بخلاف الجيل إكس (X).

يصف تقرير بعنوان "الجيل زد (Z) يذهب إلى الجامعة" أبناء هذا الجيل بأنّهم "موالون، متعاطفون، مكترثون، منفتحون ذهنيًا، مسؤولون، ومصممون"، فضلًا عن أنّهم "ملتزمون بمن حولهم ومتحمسون لإحداث الفرق"[١٤]. لذلك تصحّ فيهم تسمية "الشباب المسؤول" أو "الشباب الملتزم".

شباب المأساة

تعبير "المأساة" يُحال إلى الشعور العميق بالأسى والخسارة أو الصدمة نتيجة الموت المفاجئ. لا يوصف موت رجل مُسنّ بالمأساة لأنّه متوقّع. لكن المأساة تبلغ أوجها في موت الشباب، لأنّ الشباب مفعم بالحب والحياة. وقد تعلّق الجمهور وبكى مع الأفلام والروايات والمسرحيات التي تنتهي بموت الأبطال في عز سن الحب. موت الشباب مأساوي في الواقع والخيال الأدبي على السواء. والبطل، في الحقيقة أو في الخيال الروائي، يموت وهو يقوم بواجبه أو يُنجز مأثرته. والرحلة التي جوهرها الانتقال إلى مستقبل

١٤- Seemller, C., Grace, M. (2017) **Generation Z Goes to College**, Jossey-Bass. P 8-11, 17.

موجود في مكان آخر، تجسيدًا لفكرةٍ معيّنة يجسّدها البطل أو الشباب[١٥].

لم أجد مفهوم "شباب المأساة" متداولًا في الأدبيات. وأظن أنّه يصحّ إطلاقه واستخدامه ليس لأنّ موت الشباب هو مأساة فحسب، بل لأنّ هذا الموت يتمّ عن طريق قتل يمارسه شباب آخرون. شباب المأساة هو ما بين قاتل ومقتول، بطل وشهيد. هذا، غير الانتحار الفردي الذي يُعزى لأسبابٍ نفسية وينتشر أيضًا عند الشباب أكثر من أي فئة عمرية أخرى. وهو غير إطلاق النار الذي يقوم به أفراد على مجموعة من الناس كطلاب مدارس، جمهور سينما، ومتعبّدين، والمنتشر بكثرةٍ في الولايات المتحدة الأميركية. الفرق بين الاثنين أنّ الحافز أيديولوجي في شباب المأساة وهو فردي – نفسي في الانتحار أو إطلاق النار على الحشد mass shooting.

يمكن متابعة شباب المأساة في ثلاثة أشكال من الحضور. الأول، عندما ظهرت مجموعات شبابية ثورية تستعمل السلاح من أجل تغيير النظام السياسي في سبعينيات القرن الماضي، كما كانت الحال مع التوباماروس في الأوروغواي، والألوية الحمراء في إيطاليا، ومجموعة بادر مينهوف الجيش الأحمر في ألمانيا وغيرها. والشكل الثاني هو القائم على الهوية، كما هي الحال في الصراعات المحلية العرقية في أميركا بين السود والبيض، وأفريقيا أي الصومال، راوندا، بوروندي، الكونغو، والدينية في إيرلندا، والطائفية في لبنان. والشكل الثالث والأحدث تاريخيًا ذو طابع عالمي، انطلق مع اعتداء الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١، الذي كان أبطاله ١٩ شابًا، جميعهم غير أميركيين جاؤوا من الدول العربية (١٥ سعوديًا، ومصري ولبناني واثنان من الإمارات العربية المتحدة). وقد ذهب ضحية هذا الاعتداء، الذي أعلن تنظيم القاعدة المسؤولية عنه، حوالى ٣٠٠٠ شخص. ثم أصبح

١٥- Henze, V. (2015).**On the Concept of Youth, Some Reflections on Theory**, inIsabel Schäfer(editor).Youth, Revolt, Recognition. **The Young Generation during and after the "Arab Spring"**, Berlin, Mediterranean Institute Berlin MIB, p 5-16.

الإرهاب والتنظيمات المتطرفة هما التسميتان الشائعتان لهذا الشكل من المأساة التي كان الشباب أبطالها. وظهرت أسماء عدة تنظيمات من هذا النوع أشهرها "داعش"، التي طاولت عملياتها هي والقاعدة مناطق متعددة في العالم كأوروبا وأميركا مع تمركز في منطقة الشرق الأوسط وأفريقيا، سوريا، العراق، اليمن، ليبيا والصومال.

ثقافة الشباب

لقد استعملت الأدبيات الأميركية تعبير "جيل" لوصف التطوّر الذي حدث في نزعات الشباب بين الستينيات ونهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي إلى اليوم. لكن هذه التطوّرات لا تعني أنّ نزعة من هذه النزعات حلّت محل الأخرى تمامًا. إنّها تعني أنّ واحدة منها كانت ظاهرة بصورةٍ أقوى مقارنة بالحالات الأخرى.

إن أي حسن سليم

إنّ هذه النزعات ليست متماثلة القوة والظهور في الحقبة نفسها في عدة بلدان أو في مناطق أخرى من البلد نفسه، فما حدث في أميركا لا يشبه بالضرورة ما حدث في بلدان أخرى. يقول إنّ الأمر يختلف بين البلدان، وبين الطبقات الاجتماعية وما بين المدينة والريف، فيمكن تخيّل استمرار عدم وجود الشباب في مجتمعات كثيرة أخرى، في مناطق ريفية في آسيا وأفريقيا، حيث يتمّ الزواج في سن مبكّر، وتُترك المدرسة باكرًا أو لا يتمّ الالتحاق بها أصلًا. كذلك، فإنّ الانتقال من نزعة إلى أخرى أمر ممكن. مثلما هو حال الانتقال من اللامبالاة إلى المأساة، لأنّ اللامبالاة قد تكون ناتجة عن عنف سياسي[١٦].

فكرة الجيل فكرة خصبة إذا ما نظرنا إلى ما حدث في الماضي من جيل إلى جيل، وهي خصبة أيضًا إذا ما تأمّلنا في أحوال الشباب اليوم، باعتبارهم

١٦- الأمين، عدنان (٢٠٠٨). **"الشباب اللبناني وطيّات السياسة، العلاقات الخطرة"**، في: المشاركة السياسية والشباب في العالم العربي الخيارات المتعثّرة وأفق التغيير. بيروت، المركز اللبناني للدراسات، ص ٤٣-٦٩.

جيل المستقبل. لكن جيل المستقبل يجب النظر إليه من زاوية نظر ما نسميه فئة الشباب ضمن بنية المجتمع ككلٍ. يجب النظر إلى الفئة العمرية الشبابية باعتبار أنّها تضمر وجودًا مستقلًا، كأنّها شريحة اجتماعية لها ثقافتها الفرعية الخاصة بها.

أستعير تعبير الثقافة الفرعية sub–culture من رالف لنتون، الذي ميّز بين الثقافة التي هي روح المجتمع والثقافة الفرعية التي تخص أصحاب المهن. تتكوّن الثقافة والثقافة الفرعية من مجموعة من العناصر: اللغة، القيم والمعتقدات، أنماط السلوك والتقاليد والرموز،...[١٧]. وهذه العناصر تنطبق جميعها على الشباب. من جهته، قدّم تالكوت بارسونز بعض سمات ثقافة الشباب، منها تَشَاركهم في ما هو مختلف عن أهاليهم، ورغبتهم العارمة في الاستقلال عنهم بل رفضهم لثقافة الراشدين، ونَزْعتهم نحو معاداة النشاط الفكري anti–intellectualism[١٨]. ونفهم هذه النزعة مع قول هيبديج بأنّه يمكن النظر إلى الشباب كما يُنظر إلى العلاقة بين التابع والمسيطر، والمسيطر هنا هم الراشدون[١٩].

وقد ذكر المتابعون لموضوع الشباب كثقافةٍ فرعية أنّه مصطلح حديث صاحب ظهور مصطلح شباب المرح. يقول بيتر لويس[٢٠] إنّ ثقافة الشباب ظهرت في مطلع الخمسينيات، مع تطوّر موسيقى الروك أند رول Rock and Roll، وما تلاها من فنون موسيقية شبابية[٢١]. تتكوّن عناصر هذه الثقافة من رموز، وأنماط من اللباس واللغة والفن وأساليب عيش المجموعات.

تشكّل المجموعات المكوَّنة من الأقران، الخلية الصغرى للحياة الشبابية

١٧- لنتون، رالف (١٩٦٤)، **دراسة الإنسان**، بيروت، المكتبة العصرية.

١٨- Parsons, T. (1959): "The School Class as a Social System: Some of its Functions in American Society", **Harvard Education Review**, XXIX (Fall, 1959): 297-318.

١٩- Hebdige, D. (1979). **Subculture: The meaning of style, Menthuen & Co**, London. 1979.

٢٠- Lewis, P. **The Fifties**, Heinemann, London. 1978.

٢١- Hip hop, punks, ravers, Juggalos, metalheads, goths.

والتي تتّصل بباقي الجيل عن طريق الأنماط التي تميّزهم في عدة حقول مثل الموسيقى والرقص واللباس والاحتفالات والفرق الرياضية والمغامرات على أنواعها، والرحلات. ويمكن رصد عناصر هذه الثقافة في المدارس الثانوية والجامعات والحانات الليلية والحفلات العامة والاحتفالات الخاصة والمباريات الرياضية، والمظاهرات على أنواعها.

مع التكنولوجيا، توسّعت المساحات التي ينضمّ إليها الشباب ويمارسون فيها ثقافتهم، لكأنّها صارت ثقافة فرعية عالمية. لقد دخلت المساحة الخارجية بقوةٍ في ثقافة الشباب المحلية. هذه المساحة تضمّ رفاقًا عن طريق الإنترنت من خلال الدردشة والتجمعات الشبابية الإقليمية والدولية، وعن طريق نماذج الاقتداء التي تضمّ أشرارًا أو أبطالًا، جميلات أو عارضات أزياء، علماء أو مهندسين أو رجال دين، ممثّلي سينما أو مطربين، وغيرهم. ولم تعد موسيقى السود في أميركا خاصة بهم ولا بالبيض في ذلك البلد، بل انتشرت عبر العالم، ولم تبقَ لعبة مثل كرة السلة أو الاتحاد الوطني لكرة السلة N.B.A. في أميركا مقتصرة على أميركا... وفي الوقت نفسه يحصل تمرّد الشباب ليس ضد الراشدين والسلطات المحلية فقط، بل ضد جهات خارجية تُعدّ مراكز للسلطة العالمية. فبعض الشباب منخرط في متابعة كرة السلة الأميركية ونجوم الفن فيها، والبعض الآخر منخرط في الحرب على أميركا، كجزءٍ من معاداته لمجمل النظام العالمي. وكل لديه مزاجه وروايته. وأصبحت الحدود بين الثقافة الفرعية والثقافة المضادة counter culture صعبة الرصد أحيانًا.

الميزة الأساسية لثقافة الشباب هي أنّها غير امتثالية، وهي بالتالي منجم للبدائل وإقبال لاحقًا على التغيّر الاجتماعي. بل تجري معاقبة الامتثاليين الملتزمين بالواجبات المدرسية وتنفيذ تعليمات المعلمين والأهل، عن طريق إقصائهم والتهكّم عليهم وإطلاق النعوت عليهم. وبغضّ النظر عن مدى تقدير

خطورة ما يقوم به الشباب من وجهة نظر الراشدين أو وصفهم بالرعاع، فيمكن القول إنّ النزعة إلى التغيير في المجتمع هي إرث شبابي، يمارسها الشباب بطريقةٍ قد تكون مستنكرة من قبل الراشدين، ثم ما يلبث الراشدون اليوم الذين كانوا بالأمس شبابًا أن يمارسوها ضمن النظام أحيانًا، أو ضده أحيانًا أخرى، مستعينين بالجيل الجديد من الشباب في سبيل تحقيق أهدافهم.

ثانيًا: الشباب العربي

لا زالت هناك مناطق جغرافية كبيرة في العالم العربي ترتفع فيها نسبة الأمية إلى ما فوق الـ٥٠٪ ويحصل فيها الزواج في وقت مبكّر، وهي عمومًا مناطق ريفية ومحافِظة. فيها يُستدل على غياب الشباب في حالاته المذكورة، إلّا إذا انضم بعض مَن هم في سن مبكّر (منذ عمر العاشرة أحيانًا إلى شباب المأساة بسبب الفقر). وقد يكون اليمن اليوم حافلًا بالظاهرتين معًا.

يمكن الاستدلال على شباب المرح في البلدان العربية في شكلَيْه: المرح كصدًى للنموذج الغربي، والمرح كإبداعٍ داخل الثقافة الشعبية.

صدى مرح الشباب الغربي لدى الشباب العربي أظهرته أفلام السينما والروايات في المدن العربية. وهو يخص على الأرجح أبناء الطبقات الوسطى والعليا. وهو لم يكن موضوع إشهار ودراسات لأنّه مجرّد صدى، أو تفاعل مع الرقص والموسيقى والغناء والأزياء، وسائر الفنون الشبابية الغربية التي بدت جميلة في أعين أبناء هذه الطبقات تستحق المحاكاة.

أما المرح الشعبي فقصته مختلفة، بل هو مناقض أو معاكس للمرح البرجوازي العربي. تقدّم لنا بيترسون عرضًا غنيًا لمثالٍ عن هذا المرح وهو أغاني المولد في مصر. هناك عدة أمثلة عن شباب يمارسون الرقص

والغناء ارتجالاً ويستخدمون حركات مأخوذة من الرقص الشرقي البلدي، الفنون الحربية، التمثيل الجسدي التعبيري الصامت، البريك دانس break dance، والتحطيب الذي هو أداء حركي صعيدي...، وتصفه بطاقةٍ شبابية مبدعة[٢٢].

الطابع الشعبي لهذا المرح يظهر في أنّه يتمّ في الأفراح (الخطبة، الزواج،...) وبخاصةٍ الحفلات التي تجري في الشارع، حيث الزحمة، وحيث يتجمع أفراد العائلة والشباب والبالغون والصغار. ويظهر في أنّه ينهل من الصوفية واستحضار الولي والسيرة الهلالية والموشّحات الدينية. كما يظهر في أنّ الراقصين–المغنين ذكور فقط. وأخيرًا هو فن معياري أخلاقي، حيث يذهب نص الأغنية إلى غواية الشيطان حول متع الدنيا كالخمرة والجنس ولعب القمار لينتهي بأن يقرّر العبد أن "يزور النبي ويعود للصلاة ويتوب، مخاطبًا هذا الشيطان قائلًا: "وما دام هارجع أصلّي، مش هتعرف توصل لي، والناس بقى تتعلم، من كل اللي حصل لي"[٢٣]. وكلها سمات تتفق مع ما وصفه بورديو بالذوق الشعبي[٢٤]. ومن هذا القبيل تنقل المؤلفة عن شاب آخر يأنف فيه من هذا "الفن البلدي الرخيص...الذي يردّد أي هراء"[٢٥]، تمامًا كما يصف بورديو استنكار أصحاب الذوق البرجوازي للذوق الشعبي. وفي موضوع المرح والفقر يقول محمد صالح بلطي (أحد مغني الراب من المناطق الشعبية في تونس) "عندما تنشأ في منطقة فقيرة كهذه وسط الجريمة والبطالة والكحول والمخدرات لا يبقى أمامك سوى خيارين: إمّا أن تصبح مجرمًا،

٢٢- بيترسون، جنيفر (٢٠٠٩). **"الشباب المصريون وأغاني المولد"**، في: الممارسات الثقافية للشباب العربي، تجمع باحثات لبنانيات، الكتاب الرابع عشر، ٢٠٠٩-٢٠١٠، ص ٧٢، ٧٤.

٢٣- بيترسون، جنيفر، المرجع المذكور، ص ٧٩.

٢٤- Bourdieu, P. (1979). Critique sociale du jugement. Paris, **Minuit**.

٢٥- بيترسون، جنيفر، المرجع المذكور، ص ٧٦.

أو تجد مخرجًا من هذه الظروف من خلال الموسيقى أو الرياضة"[٢٦].

أما شباب الشغب فهو أقوى حالات الشباب ظهورًا في المنطقة العربية حتى العام ٢٠١١ ضمنًا. يمكن الاستدلال عليه من المظاهرات الطالبية التي انتشرت فيها خلال ثلاثة عقود من الخمسينيات حتى السبعينيات وهي كانت موجّهة قوميًا، أي تأييدًا لقضايا عربية (قضيتا فلسطين، والجزائر قبل استقلالها). بعد أن شهدت قبلًا مظاهرات وطنية مطالبة بالاستقلال. لاحقًا، تحوّل المشهد إلى مظاهرات صاخبة احتجاجًا على قضايا داخلية مطلبية ونقابية وسياسية. وفي مصر قُدّر مثلًا عدد الذين ساروا في انتفاضة ١٨ و١٩ يناير في العام ١٩٧٧ بما لا يقلّ عن ٧ مليون شخص. وفي هذا البلد شكّل ظهور حركة "كفى" في العام ٢٠٠٤ ظاهرة فريدة. وقد لاقت الحركة صدًى واسعًا بين المثقفين ووسائل الإعلام، مصريًا وعربيًا وعالميًا. وفي كتاب "سِيَر عشر جامعات حكومية عربية"[٢٧] شواهد كثيرة على شباب الشغب والنضال والاحتجاجات بالترتيب نفسه، من تحركات وطنية وقومية إلى تحركات احتجاج ضد الحكومات والأنظمة في بيروت ودمشق والخرطوم وليبيا واليمن وتونس، وغيرها.

كان لا بد من الانتظار حتى العام ٢٠١١، حتى يتحوّل ما يقوم به شباب الشغب في كل من مصر وتونس إلى ظاهرة تفوق الوصف في قوتها وفعاليتها. وقد أسهمت وسائل التواصل الاجتماعي مساهمة فعّالة في التحريض والتنظيم[٢٨]. وهي أدّت كما هو معروف إلى الإطاحة بالحكام في البلدَين. ثم جاءت المظاهرة المليونية الضخمة في مصر (قيل فوق

٢٦- قرامي، أمال (٢٠١٢). **"التعبير عن التهميش في المجتمع التونسي قبيل الثورة، التدوين و"الراب" أنموذجين"**، في التهميش في المجتمعات العربية كيفًا وإطلاقًا، الكتاب الخامس عشر، بيروت، تجمع باحثات لبنانيات، ص ٢٧٧-٢٩٥.

٢٧- الأمين، عدنان (إعداد) (٢٠١٨). سير عشر جامعات حكومية عربية، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

٢٨- غنيم، وائل (٢٠١٢). الثورة: إذا الشعب يومًا أراد الحياة، القاهرة، دار الشروق.

العشرين مليون) في ٣٠ يونيو ٢٠١٣ في الذكرى السنوية الأولى لانتخاب محمد مرسي لتطيح بحكم الإخوان المسلمين في مصر. وعلى منوال حركة "كفى" في مصر ظهرت حركات جنينية تحمل الاسم نفسه أو ما يشبهه (كفى، كفاية، خلاص) في كل من فلسطين وتونس وليبيا واليمن، وكذلك في الأردن "ذبحتونا".

والتواصل بين نزعتَي الشغب والمرح قائم. ففي مصر ذاعت أغاني الشيخ إمام في الستينيات والسبعينيات. وفيها تهكّم على السلطات وإبراز للامساواة الاجتماعية. وفي العام ٢٠١١، تكاثرت في ميدان التحرير الفنون كالغرافيتي والأغاني والاسكتشات والموسيقى[٢٩].

في العام نفسه (٢٠١١)، خرجت مظاهرات سلمية في كل من سوريا وليبيا، رافعة الشعار نفسه الذي رُفع في تونس ومصر "الشعب يريد إسقاط النظام" (شباب الشغب). لكن بدل أن يسقط النظام سقط المجتمع في البلدَين وفي اليمن في أتون حرب أهلية، لم تنتهِ حتى اليوم (٢٠١٩). والحرب الأهلية تعني اندراج المتقاتلين في جماعات على أساس الهوية المذهبية والعشائرية. هكذا انتقلنا من شباب الشغب إلى شباب المأساة.

كانت بداية شباب المأساة في تسعينيات القرن الماضي في الجزائر، مع موجة عنف أهلي، ذهب ضحيتها عشرات الألاف. وفي صلب هذا العنف شعارات إسلامية رفعها "الأفغان الجزائريون" العائدون من حرب أفغانستان بقيادة ما لا يقل عن اثني عشر أميرًا بعد تدخّل الجيش لإلغاء نتائج الجولة الأولى من الانتخابات التي فازت فيها الجبهة الإسلامية للإنقاذ في يناير ١٩٩٢. وفي تلك الفترة ظهرت منظمة القاعدة.

أما الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) التي ظهرت ابتداءً من

٢٩- مغيث، كمال (٢٠١٤). **هتافات الثورة المصرية ونصوصها الكاملة**، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.

العام ٢٠١٤، فتفوّقت على المنظمات السابقة جميعها في استقطاب حشد من الشباب العربي وغير العربي في مدى زمني قصير، ليشاركوا في حمل السلاح وقتل المدنيين وذبحهم داخل سوريا والعراق وخارجهما[٣٠].

لقد كتبت مقالات كثيرة عن سبب إقبال الشباب على الالتحاق بداعش، استخرجتُ منها ثلاثة أسباب رئيسية:

أ- وجود رواية

عنوان الرواية: الخلافة الإسلامية، وهي تقول إنّ العالم المعاصر مليء بالكفر والظلم والعنصرية، والمتهمون هم أميركا وأوروبا واليهود والمسيحيون عمومًا في ظلمهم للمسلمين، والحكام العرب المسلمون في ظلمهم لشعوبهم، وإنّ البديل هو تهديم الدول الحالية وبناء الخلافة الإسلامية على أنقاضها. والطريق إلى ذلك، اعتماد الأسلوب الذي سلكه أبو بكر الصدّيق إثر تسلّمه الخلافة بعد الرسول وبدء الارتداد عن الإسلام، وأسلوب الذبح بالسيف بلا هوادة لبثّ الرعب في نفوس الآخرين. الرواية كاملة وبسيطة، إذ تنتقي من التاريخ الإسلامي والفقه ما يناسبها وتعمّمه على ظروف معاصرة، وتقدّم خطابًا سطحيًا يحوّل الصراع إلى ما يشبه روايات الخيال العلمي الموجّهة إلى الأطفال والشباب، التي يقتل فيها الأبطال المؤمنون الأشرار الكفار. ولكلٍ رموزه وشعاراته. فداعش ليست مؤسسة فقهية تجتهد في شؤون الدين. هذه الرواية استخدمتها منشورات تنظيم داعش الورقية والإلكترونية، كما استخدمها الدعاة في المساجد وأماكن تجمعاتهم لتجنيد الشباب الذين يقومون بدورهم بدعوة بعضهم البعض (الأقران) للانضمام إلى متابعة الرواية، تمهيدًا للانخراط في التنظيم.

٣٠- يوم الأحد في ٢٠ آب/أغسطس ٢٠١٧ نشرت مجلة **الأندبندنت (Independent)** البريطانية مقالًا تساءل فيه المؤلف عن الجامع المشترك بين ثلاثة أحداث إرهابية متتالية في أوروبا (اثنان في برشلونة وواحد في فنلندة) في "هذا الأسبوع" فوجد أنّ المهاجمين جميعًا كانوا شبابًا (بين ١٧ و٢٤ عامًا)، وأنّهم من المفتونين بداعش.
https://www.independent.co.uk/voices/barcelona-spain-terrorism-young-european-muslims-joining-isis-a7903026.html

تقع الرواية بمفاعيلها في باب الصراعات السياسية أو الأيديولوجيا السياسية[٣١]. وهو باب يشمل الروايات الأخرى المتصارعة، بين داعش وغيرها من المنظمات السياسية، السنية والشيعية. فقد تمّ تجييش فئات من الشباب اللبناني للمشاركة في الحرب في سوريا تحت شعارات مثل "حماية المقامات الشيعية في سوريا" أو "لن تسبى زينب مرتين". وأفتى السيستاني المرجع الشيعي العراقي بحمل السلاح والتطوّع في الحرب ضد الإرهاب، معدًا إيّاها حربًا مقدسة، ومن يُقتل فيها فهو شهيد[٣٢].وقد ركّز تنظيم داعش عملياته في سوريا والعراق ضد الدولة والقرى والبلدات والتجمعات الشيعية والعلوية. وفي لبنان استهدف التنظيم، فضلًا عن الجيش اللبناني[٣٣]، التجمعات السكانية الشيعية والسفارة الإيرانية.

ب- الفقر

الفقراء ليسوا قلة في هذا العالم. قد تكون فرضية أنّ الملتحقين بداعش يأتون من بلدان ذات ظروف اقتصادية متفاوتة، قابلة للتصديق[٣٤]، إذا أخذنا بالاعتبار جاذبيتها للشباب المشار إليها أعلاه. لكن التقارير كافة تفيد بأنّ الفقر هو المنجم الأساسي لتجنيد المقاتلين في داعش. وقد تسنّى لها ذلك من خلال الإغراءات المالية التي تقدّمها للشباب في المناطق الفقيرة. كانت قدرات التنظيم المالية كبيرة، وهذا ما ميّزها أيضًا عن القاعدة. يقال إنّ الرواتب التي كان تنظيم داعش يدفعها للمجاهدين الجدد تساوي أكثر من أربعة أضعاف ما يتقاضاه عسكري عادي في دولة فقيرة، وتقدّم حتى ألف دولار أميركي كراتبٍ شهري لتجنيد شباب من بلدان يتقاضى فيها

٣١- Brooks et al (2016). **Political Ideology and Immigrant Acceptance, Sociological Research for a Dynamic World**.Volume 2: 1–12. doi.org/10.1177/2378023116668881

٣٢- http://assabeel.net/news/2014/6/13/

٣٣- من بين هذه الاعتداءات على الجيش اللبناني، في الفترة التي نتحدث عنها، ما حصل في عرسال في العام ٢٠١٤، علمًا بأنّه في العام ٢٠١٧ طرد الجيش اللبناني تنظيمَي النصرة وداعش حتى المناطق الحدودية.

٣٤- https://scholars.huji.ac.il/sites/default/files/eklor/files/isis_february_14_2018.pdf

بعض أقرانهم دولارًا واحدًا في اليوم مثل تشاد ومالي والسودان[٣٥]. ويقال إنّ راتب شهر لامرأة من تونس أو المغرب تشارك في جهاد النكاح في سوريا كان يساوي دخلها في بلدها لمدة سنة.

ج- الغواية الذكورية

من المعروف أنّ التنظيمات المسلحة، بما في ذلك العصابات تجذب الشبان الذكور المهمّشين، لأنّها توفّر لهم هوية فيها قدر من القوة، والانتماء إلى مجموعة، والولاء والإثارة وصورة ذات إيجابية. داعش كانت توفّر كل ذلك إنّما عن طريق الصور وأفلام الفيديو عن العنف الوحشي الذي تمارسه كقطع الرؤوس، حرق الأشخاص وهم أحياء، ... وتنقلها إلى الشباب عن طريق وسائل التواصل الحديثة. كان هذا ابتكارًا داعشيًا تفوّق فيه التنظيم على أي تنظيم إرهابي آخر عرفه التاريخ المعاصر. طبعًا يكون متلقّو هذه الصور كُثرًا، وتسبّب لهم مشاعر متناقضة، لكن الرسالة التي تتلقاها فئة من الشباب المهمّش عبر العالم، هي دعوة صريحة للانضمام إلى التنظيم، لممارسة القوة وتحقيق الذات والبطش بما هو سائد، والانتماء إلى عالم جديد يهدم أركان العالم القائم. وهذا مغرٍ طبعًا لمن كان على استعداد مسبق لتصديق الرواية من المسلمين، ولكنّه مغرٍ أيضًا لغير المسلمين من الشباب الذي كان يبحث عن معنى لحياته لظروف تهميش وفقر يعيشها. وهذا هو مغزى ما نُقل عن داعشي عندما قال: "بالأمس كنت عاملًا في ورشة بناء، اليوم أقوم بأشياء تلفت انتباه رئيس الولايات المتحدة الأميركية"[٣٦]. ثمة غواية مزدوجة للشباب الذكور المهمّشين: التمتع بالقوة والبطش والانتقام من جهة، ومن جهة ثانية التمتع بالنساء اللواتي يتمّ سَبْيُهن بعد كل غزوة، بحسب اللغة التي استرجعها تنظيم داعش من الإسلام

٣٥- https://thehill.com/blogs/pundits-blog/international/303150-why-young-syrians-join-isis-and-how-to-prevent-it

٣٦- https://news.nationalgeographic.com/2017/09/young-europeans-islamic-state

الأول. أما إذا استشهد الواحد منهم فيكون جزاؤه الجنة حيث الحوريات بالعشرات والمئات.

أسباب إقبال الشباب على الالتحاق بداعش هذه أظهرتها أيضًا دراسة المؤشر العربي ٢٠١٧-٢٠١٨ مؤخرًا. وحسب الدراسة، فإنّ ١٧٪ من المستقصين يعتقدون أنّ أهم عناصر قوة داعش هو إعلان الخلافة الإسلامية، و١٦٪ التزام التنظيم المبادئ الإسلامية، مقابل ١٣٪ يعزونه إلى الإنجازات العسكرية و١١٪ إلى استعداد التنظيم لمواجهة الغرب. وفسّر المجيبون التحاق المقاتلين بداعش بالدرجة الأولى (٤٢٪) بالفقر وعدم المساواة والتهميش في بلدانهم، مقابل ١٢٪ نتيجة وسائل الدعاية التي يستخدمها وغسل الأدمغة، و١٦٪ قالوا إنّ الدافع للانضمام هو محاربة جهات خارجية أو أنظمة وميليشيات في سوريا والعراق و٧٪ لأنّهم متطرفون ويريدون المغامرة وإثبات ذاتهم[٣٧].

ثالثًا: الشباب في لبنان

يعدّ الشباب واقعة اجتماعية قوية في المجتمع اللبناني. يُستدل على ذلك من:

- ارتفاع سن الزواج، إذ يتراوح معدل عمر الزواج بين ٢٨ سنة للإناث و٣٣ سنة للذكور[٣٨]. وتتراوح نسبة العازبين والعازبات بين ٩٧,٤٪ و١٠٠٪ في عمر ١٥-١٩، وما بين ٨٢,٧٪ و٩٧,٧٪ في عمر ٢٠-٢٤[٣٩]. بل أصبح الزواج المبكّر أمرًا مستنكرًا في الثقافة اللبنانية. وبحسب اليونسف فقد تمّ

٣٧- المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (٢٠١٨). المؤشر العربي ٢٠١٧-٢٠١٨.
https://www.dohainstitute.org/ar/Lists/ACRPS-PDFDocumentLibrary/Arab-Index-2017-2018-Full-Report.pdf

٣٨- يعقوب، نجوى وبدر، لارا (٢٠١١). خصائص السكان والمساكن في لبنان. بيروت، إدارة الإحصاء المركزي، ص ٦:
http://www.cas.gov.lb/images/PDFs/SIF/CAS_Population_and_Housing%20_In_Lebanon_SIF2_Arabic.pdf

٣٩- إدارة الإحصاء المركزي (٢٠٠٩)، لبنان: المسح العنقودي متعدد المؤشرات، الدورة الثالثة:
http://www.cas.gov.lb/images/Mics3/MISC3_new/Population%20characteristics%20in%202009.pdf, p16

تزويج ٦ في المئة فقط من النساء اللبنانيات اللواتي تتراوح أعمارهن ما بين ٢٠ و٢٤ قبل بلوغهن سن ١٨ (٢٠١٦)[٤٠].

– انخفاض نسبة النشاط الاقتصادي: في حين أنّ ١٨٪ فقط ممّن هم في عمر ١٥–١٩ عامًا ناشطون اقتصاديًا، فإنّ نسبة الناشطين اقتصاديًا بين الرجال ترتفع إلى ٩٠٪ في عمر ٢٥ وما فوق[٤١].

– ارتفاع معدلات الالتحاق الخام إلى ٨٢٪ والصافي إلى ٤٩٪ في المرحلة الثانوية [٤٢] وإلى٤٣٪ في التعليم العالي (بحسب معطيات العام ٢٠٠٧)[٤٣]. وهي من أعلى النسب في العالم العربي.

شباب الشغب

بدأ بالظهور باكرًا. بين خمسينيات وأوائل سبعينيات القرن الماضي، برزت كثافة ملفتة للتحركات الطالبية والشبابية عمومًا في المظاهرات والاعتصامات والإضرابات بصورةٍ مستقلة أو بالتحالف، مع أو تأييدًا لتحركات ومطالبات شعبية متعددة مثل المزارعين، الصيادين، عمال المصانع والعمال الزراعيين وبخاصةٍ عمال التبغ. وفي هذه التحركات كان الخطاب الشائع يساري الهوى، في مواجهة اليمين المحافظ[٤٤].

كانت الأمور متقلبة في البداية، ومتداخلة ما بين الشعارات المطلبية التي تعكس اللامساواة الاجتماعية مع الشعارات القومية التي رفعت في العالم العربي حول الجزائر وفلسطين. لكن في الستينيات، ظهرت علامات التمرّد revolt أو الشغب الفرنسية (أحداث مايو ١٩٦٨) على التحركات الشبابية

٤٠- https://www.hrw.org/ar/news/2017/04/12/302215

٤١- يعقوب، نجوى، وبدر، لارا (٢٠١١) سوق العمل في لبنان، بيروت، إدارة الإحصاء المركزي، العدد رقم ١، تشرين أيلول ٢٠١١: http://www.cas.gov.lb/images/PDFs/SIF/CAS_Labour_Market_In_Lebanon_SIF1_Arabic.pdf

٤٢- إدارة الإحصاء المركزي (٢٠٠٨). الدراسة الوطنية للأحوال المعيشية للأسر-٢٠٠٧، ص ٦٠-٦٥.

٤٣- معدّل محتسب استنادًا إلى إدارة الإحصاء المركزي (المرجع نفسه) والنشرة الإحصائية للمركز التربوي للبحوث والإنماء عن العام نفسه (٢٠٠٧).

٤٤- الأمين، عدنان (٢٠١٨). **الجامعة اللبنانية تحت وطأة التحولات السياسية سير عشر جامعات**، في: الأمين، عدنان (إعداد). سير عشر جامعات حكومية عربية، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ص ١٤٧-٢٠٧.

اللبنانية، من خلال التوسع نحو الاحتجاجات المتكررة ومقارعة رجال الشرطة وتحطيم رموز الدولة والإدارات المدرسية والجامعية. وقد قام الطلاب في لحظة معيّنة بطرد الأساتذة والعمداء واحتلال مكاتبهم[٤٥].

بل يمكن القول إنّ شباب الشغب كان في بعض الأحيان متنوعًا في أصوله الاجتماعية والطائفية. يُستدل على ذلك من مشاركة طلاب من المدارس والجامعات الخاصة الأميركية واليسوعية في المظاهرات والإضرابات إلى جانب طلاب الثانويات الرسمية والجامعة اللبنانية. وفي ذلك اختلاط للطبقات الاجتماعية والطوائف. ومن هذا القبيل ظهور تيار شبابي في بداية السبعينيات يسمى بحركة الوعي، انفصل عن اليمين المسيحي ليضع لنفسه برنامجًا يقوم على التمرّد ضد السلطة والنظام القائم، رافعًا أيضًا شعارات العدالة والإصلاح في مؤسسات الدولة وأولها الجامعة اللبنانية[٤٦].

بدأت الصورة بالتغيّر منذ العام ١٩٦٧، عندما تعرّض لبنان، مثله مثل سائر الدول العربية، لما يسمى نكسة حزيران. ولم يكن هذا التعرض معنويًا فقط، بل عمليًا مع الغارة الإسرائيلية على مطار بيروت في العام ١٩٦٨. فحمّل الشباب الدولة مسؤولية حصول هذا الاعتداء، في سياق تحميل الأنظمة العربية مسؤولية النكسة. وهذا ما أضاف إلى أجندات التحركات الشبابية بنودًا وطنية[٤٧]، وزاد تحركهم حماسة.

خلال الحرب الأهلية انحسر شباب الشغب وغابت الاتحادات الطالبية كليًا عن المسرح. كان لا بد من الانتظار حتى العام ٢٠١٥ مع ظهور تجمعات شبابية سُمّيت لاحقًا بالحراك المدني الذي تنوّعت أسماء منظماته، وقد

٤٥- المرجع نفسه.

٤٦- المرجع نفسه.

٤٧- المرجع نفسه.

عمل بعضها على عقد تحالفات انتخابية إبّان الانتخابات البلدية ٢٠١٦ والانتخابات النيابية ٢٠١٨ [٤٨]. وقد أدى الفشل الذريع لهذه القوى الشبابية في الانتخابات النيابية إلى تراجعها النسبي. لكن الباب يبقى مفتوحًا على استعادة هذا الحراك نشاطه تبعًا لتطوّر الأحوال.

أما شباب المأساة في لبنان فيمكن الكلام عنه ابتداءً من الحرب الأهلية في العام ١٩٧٥.

بدأت علامات الانقسام في تحركات الشغب منذ العام ١٩٧٠، عندما انتقلت المنظمات الفلسطينية المسلحة إلى لبنان بعد أيلول الأسود في الأردن،بين مؤيّد ورافض للوجود الفلسطيني المسلح في لبنان، تعبيرًا عن شقاق أعمّ على مستوى المجتمع السياسي اللبناني ككلٍ حول هذه النقطة. وسوف يحتاج الأمر إلى خمس سنوات حتى يتحوّل إلى حرب أهلية واسعة النطاق في لبنان استمرت لمدة خمس عشرة سنة (١٩٧٥-١٩٩٠). وكان وقود هذه الحرب الشباب الفقراء، حملة السلاح، من الجانبَين المتصارعَين.

طبعًا، ثمة مستوى يتعلّق باللامساواة الاجتماعية في الصراع اللبناني الذي انفجر في العام ١٩٧٥، مع تحوّل جوهري ما بين لامساواة الستينيات وأوائل السبعينيات من جهة، ولامساواة منتصف السبعينيات وما بعدها من جهة ثانية. فقد انتقلنا مع الحرب الأهلية من الحديث عن مطالب الفئات الشعبية واتهام الطبقة الرأسمالية بالاستغلال إلى الحديث عن مطالب المسلمين، واتهامهم المسيحيين بالتفرّد بالسلطة. وفي كل من النزاعَين قضية cause لها رجالها ونساؤها وشبابها.

الشباب الذي كان يفترض أن يكون فاعلًا في الشغب، أصبح مع المعطيات

٤٨- "بدنا نحاسب"، "طلعت ريحتكم"، "بعلبك مدينتي"، "حزب سبعة"، "لقاء الهوية والدستور"، "حقي"، "لقاء الدولة المدنية"، "حراك المتن الأعلى"،"المرصد الشعبي لمحاربة الفساد"، "متحدون"، "صح"، "البلدي"، "بيروت مدينتي"،...

الجديدة للحرب الأهلية أسير هويته الجماعية، يتمّ تحريضه على أساس الهوية الدينية والمذهبية (مسلمون–مسيحيون) أو الجنسية (لبنانيون–فلسطينيون). مأساة الشباب المنخرط في النزاع الجديد تكمن في أنّه في الأجندة الأهلية لا مخرج له إلّا بالتقاتل، بانتظار التسوية بين زعماء النزاع في العام ١٩٨٩ مع إقرار اتفاق الطائف.

لم ينتهِ عمليًا انخراط الشباب في الحرب في العام ١٩٨٢. تندرج في هذا السياق حرب المخيمات التي استمرت ثلاث سنوات (١٩٨٥–١٩٨٨) في بيروت، بين قوات حركة أمل مدعومة من سوريا وقوات فتح الموالية لياسر عرفات. وامتداد الحرب الأهلية حتى العام ١٩٩٠، أي بعد ثماني سنوات على خروج منظمة التحرير من لبنان.

كما تندرج فيه النزاعات المسلحة في طرابلس بين أحياء الفقر السنية والعلوية. في العام ٢٠٠٨، حصلت اشتباكات على عدة دفعات بين منطقتَي باب التبانة وجبل محسن. وبعد اندلاع النزاع في سوريا، تجدّد الاستقطاب السياسي بين الجماعتين، الأولى معادية للنظام السوري والثانية موالية له. وتجدّدت المعارك بينهما عدة مرات (٢٠١١، ٢٠١٢، ٢٠١٤). وفي كل مرة كان يجري فيها تزويد الشباب بالسلاح من أجل تأديب سواهم في الجهة المقابلة. وعلى غرار أي مأساة – كوميدية، كانت تُنظّم احتفالات إبّان فترات الهدوء تُظهر كم أنّ الطرفَين متسامحان ويحبان بعضهما البعض. ويشارك الشباب في هذه التظاهرات بقوةٍ أيضًا، علامة على الخلطة اللبنانية بين اللهو والمأساة. وبحسب خبر نشرته محطة أل بي سي في ٣٠ سبتمبر ٢٠١٨ على موقعها الإلكتروني، عن أحد هذه النشاطات أنّه اجتمع أكثر من مئة شاب وشابة من جبل محسن وباب التبانة في طرابلس، لتنظيف الجزر الطرابلسية لمناسبة اليوم العالمي للنظافة، تحت

شعار "هيك لبنان أحلى"... وبحسب المنظمين، يهدف هذا النشاط البيئي إلى إعطاء نموذج عن فعالية دور المواطن في تحسين مجتمعه وبيئته، إضافة إلى توحيد جهود الشباب الطرابلسي وتأكيد وحدتهم بعدما فرّقتهم معارك لا إرادة لهم فيها.

تعبير "لا إرادة لهم فيها" هو تعبير دالّ. فشباب المأساة، حالة تتميز عن غيرها في أنّهم يندرجون فيها تحت وطأة الرباعي الذي توقّفنا فيه مع داعش: رواية وغواية وفقر فحرب ومأساة. في الظاهر هي تمرّد على سلطة الراشدين، وفي الباطن هي خضوع لسلطة راشدين آخرين. وهذا بخلاف ما هي عليه الحال في شباب الشغب وشباب اللهو والشباب المسؤول.

أما شباب اللهو، فكان دائم الحضور في لبنان، بصورتَيه الشعبية والغربية. ويمكن ملاحظة تداخل اللهو مع الشغب مع ظهور زياد الرحباني في ثاني مسرحياته (نزل السرور، ١٩٧٤) التي لاقت إقبالًا لا نظير له من قبل الشباب، وقد استمرت أثار الرحباني الفنية – الاحتجاجية على الشباب ظاهرة حتى فترة طويلة.

من النادر وجود ظاهرة فنية شبابية عربية تعبّر عن تمرّد على السلطة في المجتمع بطريقةٍ إبداعية. ومن هذه النوادر فرقة «مشروع ليلى» اللبنانية. فهي شبابية بامتيازٍ، فريدة، وهي ليست صدى للموسيقى الغربية، وليست شعبية. هي الوحيدة التي تتصف بالمرح القائم على عدم الامتثال لقيم المحافظين في المجتمع. وقد انتقدها المحافظون بتهمة المثلية الجنسية لأحد أعضائها، وقد مُنعت عروضها في مصر والأردن. وفي كل الأحوال، لم يكن لهذه الفرقة سوى جمهور محدود في لبنان، وهي لا تقترب حتى من بعيد من حجم جمهور نجوم الغناء اللبناني العديدين، الذي يتكوّن من بالغين وشباب وأطفال.

الدولة اللبنانية والشباب

مقابل قوة الانقسامات السياسية في لبنان التي تعيد وضع بعض شرائح الشباب على حافة المأساة، وضعت الدولة اللبنانية وثيقة بعنوان السياسة الشبابية في لبنان[٤٩] (٢٠١٢)، لم ينفّذ منها شيء تقريبًا حتى العام ٢٠١٩[٥٠]، أي بعد سبع سنوات من إقرارها، ولا يتوقّع في المدى المنظور أن ينفّذ منها شيء.

انطلق العمل أساسًا على وضع هذه الاستراتيجية من طلب دولي (قرار صادر عن الأمم المتحدة في العام ٢٠٠٠ ومؤتمر عقدته منظمات الأمم المتحدة حول الموضوع في لبنان في العام ٢٠٠٥)، وليس من إدراك وتطوّر للتفكير في الموضوع، ولا من ضغوط مجتمعية على غرار تلك التي أفضت إلى سَنّ قانون التعنيف الأسري مثلًا، التي مارستها وقادتها منظمات نسائية.

أهم معالم الاستراتيجية أنّها صُنعت من قبل مجموعات شبابية. وقد تمّ ذلك من خلال اجتماعات ولقاءات كثيرة متلاحقة، قامت بها هذه المجموعات بالتعاون مع مجموعات الأمم المتحدة والوزارات. وقد انتظمت هذه المجموعات في ما يسمى منتدى الشباب حول السياسات الشبابية[٥١]. عند التأمّل في ماهية هذه المجموعات الشبابية التي يبلغ عددها ٣٤ منظمة، نجد أنّ ٢٨ منها هي المصالح الطالبية أو الشبابية للأحزاب السياسية، تقريبًا الأحزاب اللبنانية كلها، الممثّلة منها في الحكومة وغير الممثّلة، الأحزاب النافذة والأحزاب غير النافذة، والمشاركة في النزاع السياسي.

تبدو الأمور وكأنّ اجتماع ممثّلي الأحزاب السياسية قيمته أنّه يوفر غطاء سياسيًا للنشاط (وضع الاستراتيجية)، في سيرورته (المشاركة في صناعة

٤٩- http://www.youthforum-lb.org/ar/index.php?option=com_content&view=category&layout=blog&id=46&Itemid=90

٥٠- من البرامج التي نفّذت نتيجة هذه الاستراتيجية مشروع المجالس الطالبية في ٢٠ ثانوية رسمية، بتمويل من اليونسيف، وعندما انتهى التمويل انتهى المشروع (٢٠١٥-٢٠١٨). وكان يفترض أن تتحوّل هذه المجالس إلى آلية طبيعية في الحياة المدرسية.

٥١- http://www.youthforum-lb.org/ar/index.php?option=com_content&view=category&id=38&layout=blog&Itemid=109

الاستراتيجية)، وفي توفير الإنفاق عليه عن طريق الجهة الدولية التي رعته اليونيسف، وفي مآله الموافقة عليها من قبل القوى السياسية الممثّلة في مجلس الوزراء.

من جهة ثانية، يفضي جمع أصحاب الخطب السياسية المتضاربة، إلى الحصول على الشكل (اللقاء والتشبيك) وتخفيف التوتر، على حساب المضمون. فالأفكار المطروحة في الاستراتيجية، هي جمعٌ لأفكارٍ بسيطة لا تزعج أحدًا، على غرار ما يجري في الدردشة بين أشخاص أخصام في السياسة فيقرر كل من جهته تجنّب ما يستفز الآخر، فيتحوّل الموضوع إلى حديث عام (أهمية التكنولوجيا مثلًا). هذه الأفكار المتناثرة تجمعت في ١٣٦ توصية.

تتوزّع هذه التوصيات من جهتها على الوزارات جميعها، الاقتصاد والمالية والشؤون الاجتماعية والتربية والتعليم العالي والعمل والداخلية، وغيرها، فضلًا عن مجلس النواب. علمًا أنّ الاستراتيجية صدرت عن وزارة واحدة هي وزارة الشباب والرياضة، لا دالة لها على غيرها. بل يُروى أنّ وزير الشباب والرياضة في ذلك الوقت انتبه في اللحظة الأخيرة إلى حفل إطلاق الاستراتيجية الذي سيتمّ برعايته، فأعطى تعليماته باستبعاد الشباب من مسرح الخطابات، وألقى خطبة يؤكد فيها ما بذله من جهود كبيرة لإصدارها وفخره بها. ولم يسمع عن الوزير أنّه ذكر يومًا هذه الاستراتيجية لا بالخير ولا بالسوء.

الطريقة التي صُنعت فيها الاستراتيجية المذكورة والمحتوى الذي تضمنته ينافيان الفكرة الجوهرية حول دور الشباب في التغيّر الاجتماعي، بصفتهم فئة سكانية، أو جيلًا سوف ينتقل لاحقًا إلى تحمّل المسؤولية. مؤدّى هذه الفكرة هو انتظام عمل المجتمع بناء على حكم القانون وثقافته ودولة المؤسسات. في ظل هذا الانتظام يجد الشباب

أنّهم متساوون أمام القانون، ومعيار الاستحقاق أو الكفاءة هو العامل الأساسي في الترقّي الاجتماعي والمهني، والتعبير عن الرأي يحميه القانون، وحقوق الجماعات ترعاها نصوص قابلة للتطوير. وأنّهم ليسوا بحاجةٍ إلى الخوف على الجماعة والارتماء في أحضان الغلاة فيها، أو بحاجةٍ إلى طلب الحماية من الزعماء للحصول على وظيفة وعلى حقوقهم أو لحمايتهم ضد القانون. وإنّ مؤسسات التعليم تفسح الفرص للاختلاط الاجتماعي بين الجماعات والطبقات الاجتماعية وللحراك الاجتماعي. في هذا الانتظام سوف يمارسون الشغب /النضال /الاحتجاج / الحراك المدني، اللهو أو المسؤولية ويسهمون في التغيّر الاجتماعي، كل ذلك تحت سقف القانون الساري المفعول أو القوانين التي يضغطون لتطويرها.

في غياب هذه الفكرة الجوهرية يكون الشباب عرضة للانجذاب إلى وهم التغيير عن طريق العنف المدني، وإلى التحوّل إلى شباب مأساة.

وثيقة السياسة الشبابية في لبنان لا تحاول أن تواجه قضايا الشباب واحتمالات انخراطهم لا في لهوهم أو شغبهم أو مسؤوليتهم ولا حتى في مأساة ما. إنّها أقرب إلى وثيقة كتبها السياسيون بلسان شبابهم، تعبيرًا عن استمرار التفاوض في ما بينهم، أي ليس لها وظيفة توجيهية لعمل الدولة والمؤسسات العامة. وهي في هذه الحالة أقرب إلى أن تكون دلالة على عكسها، على وجود حرب أهلية باردة. ذلك أنّ شباب المرح والشغب والمسؤولية لا يظهر وينمو إلّا مع وجود الدولة.

أسئلة إضافية

حاولت في هذه المقالة أن أتقصّى وضع الشباب عمومًا وصولًا إلى لبنان، من زوايا متعددة، وبخاصةٍ في علاقتهم بالنزاع السياسي، نظرًا لما تفرضه المعطيات المعروفة من أخطار الانزلاق إلى نزعة المأساة، لأنّ

هذا النزاع السياسي هو من النوع المغلق، الذي يرسو على هويات دينية وطائفية وإقليمية. وهذا الانغلاق يجعل من الصعب الانتقال من موقع إلى آخر، بخلاف الحراك الأفقي الذي يحصل بين الأحزاب المتحررة من تلك الهويات.

ومهما يكن، فإنّ النزاع السياسي وحده لا يفسّر كل شيء. قد يكون سببًا ضروريًا، ولكنّه ليس سببًا كافيًا. ثمة أسئلة أو قضايا لم أتطرّق إليها إلّا لِمامًا أو لم أتطرّق إليها مطلقًا، نظرًا لضيق المجال. من هذه الأسئلة ما يتعلق بالفروق في النزعات الشبابية بين الطبقات الاجتماعية والمناطق الجغرافية. وبجيوب الفقر المركّز الموجودة في الريف والمدينة، وبالشباب الفلسطيني والسوري وبالعلاقة بينهما وبين الشباب اللبناني.

ثمة أيضًا سؤال كبير يتعلق بدور بعض مؤسسات الدولة وقيادييها وأفرادها، من ورثة فؤاد شهاب وغيرهم، ومؤسسات المجتمع المدني المختلطة وقيادييها وأفرادها، ومؤسسات المجتمع المهنية والثقافية والتعليمية المختلطة، والتنوع اللغوي والثقافي، وجروح الحروب السابقة، وغيرها في الدفاع عن فكرة الدولة والقضاء المدني العام والقانون، في مواجهة التسييس المبني على الهوية والمفضي إلى التفكك.

المراجع

– إدارة الإحصاء المركزي (٢٠٠٨). الدراسة الوطنية للأحوال المعيشية للأسر–٢٠٠٧.

– إدارة الإحصاء المركزي ومنظمة الأمم المتحدة للطفولة (٢٠٠٩)، المسح العنقودي متعدد المؤشرات الدورة الثالثة.

– الأمين، عدنان (٢٠٠٨). "**الشباب اللبناني وطيّات السياسة، العلاقات الخطرة**"، في: المشاركة السياسية والشباب في العالم العربي، الخيارات المتعثرة وأفق التغيير، بيروت، المركز اللبناني للدراسات، ص ٤٣–٦٩.

– الأمين، عدنان (إعداد) (٢٠١٨). سير عشر جامعات حكومية عربية، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

– إيرني، بيار (١٩٩٢): **أتنولوجيا التربية**، ترجمة عدنان الأمين، بيروت، معهد الإنماء العربي.

– بيترسون، جنيفر (٢٠٠٩). "**الشباب المصريون وأغاني المولد**"، في: الممارسات الثقافية للشباب العربي، بيروت، تجمع باحثات لبنانيات، الكتاب الرابع عشر، ٢٠٠٩–٢٠١٠، ص ٦٢–٨٠.

– غنيم، وائل (٢٠١٢)، الثورة: إذا الشعب يومًا أراد الحياة، القاهرة، دار الشروق.

– قرامي، آمال (٢٠١٢). **التعبير عن التهميش في المجتمع التونسي قبيل الثورة، التدوين والراب أنموذجين**، في: التهميش في المجتمعات العربية كبحًا وإطلاقًا، بيروت، تجمع باحثات لبنانيات، الكتاب الخامس عشر، ٢٠١١–٢٠١٢، ص ٢٧٧–٢٩٥.

– لجنة الحوار اللبناني الفلسطيني (٢٠١٧). التعداد العام للسكان والمساكن في المخيمات والتجمعات الفلسطينية في لبنان، النتائج الرئيسية، بيروت، لجنة الحوار اللبناني الفلسطيني–إدارة الإحصاء المركزي (لبنان)، الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني.

– لنتون، رالف (١٩٦٤). **دراسة الإنسان**، بيروت، المكتبة العصرية.

– المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (٢٠١٨). المؤشر العربي ٢٠١٧–٢٠١٨.
https://www.dohainstitute.org/ar/Lists/ACRPS-PDFDocumentLibrary/Arab-Index-2017-2018-Full-Report.pdf

– مغيث، كمال (٢٠١٤). **هتافات الثورة المصرية ونصوصها الكاملة**، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.

– يعقوب، نجوى وبدر، لارا (٢٠١١). خصائص السكان والمساكن في لبنان. بيروت، إدارة الإحصاء المركزي:

http://www.cas.gov.lb/images/PDFs/SIF/CAS_Population_and_Housing%20_In_Lebanon_SIF2_Arabic.pdf

– يعقوب، نجوى، وبدر، لارا (٢٠١١) سوق العمل في لبنان، بيروت، إدارة الإحصاء المركزي، العدد رقم ١، تشرين أيلول ٢٠١١:

http://www.cas.gov.lb/images/PDFs/SIF/CAS_Labour_Market_In_Lebanon_SIF1_Arabic.pdf

– وزارة الشباب والرياضة ومنتدى الشباب حول السياسات الشبابية (٢٠١٢). السياسة الشبابية في لبنان.

http://www.youthforum-lb.org/ar/index.php?option=com_content&view=category&layout=blog&id=46&Itemid=90

– Aries, P. (1962). **Centuries of Childhood: A Social History of Family Life**. (Translated from the French by Robert Baldick), New York, Alfred Knopf

– Bourdieu, P. (1979). Critique sociale du jugement. Paris, **Minuit**

– Brooks et al (2016). **Political Ideology and Immigrant Acceptance**, Sociological Research for a Dynamic World. Volume 2: 1–12. doi.org/10.1177/2378023116668881

– Coleman, J. (1961). **The adolescent society**. Glencoe, IL: Free Press

– Durkheim, E. (1969). **L'évolution pédagogique en France**, Paris, P. U. F.

– Epstein, Jonathon S. (Editor) (1998). **Youth Culture, Identity in a Postmodern World**, Massachusetts, Black Well Publishers.

– Hebdige, D. (1979).Subculture: **The meaning of style, Menthuen & Co**, London. 1979

– Hebdige, D. (1988): **Hiding in the Light: On Images and Things**, London, Routledge,

– Henze, V. (2015).**On the Concept of Youth, Some Reflections on Theory**, inIsabel Schäfer (editor). **Youth, Revolt, Recognition.**

The Young Generation during and after the "Arab Spring", Berlin, Mediterranean Institute Berlin (MIB), pp 5-16

– Lewis, P. (1978). **The Fifties**, London, Heinemann.

– Musgrove, F. (1964). **Youth and the Social Order**, London: Routledge and Kegan Paul.

– Newcombe, N. (1996). **Child Development, Change Over Time**, New York, Harper Collins College Publishers.

– Parsons, T. (1959). "The School Class as a Social System: Some of its Functions in American Society", **Harvard Education Review**, XXIX (Fall, 1959): 297-318

– Pearson, G. (1993). Hooligan: **A History of Respectable Fears**, London, Macmillan.

– Seemller, C., Grace, M. (2017). **Generation Z Goes to College**,Jossey-Bass.